بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ،...»

اللقاء السابع عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

لما كان يومُ أُحُدٍ انكَفأ المشرِكونَ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : استَووا واثبُتوا حتَّى أُثنيَ علَى ربِّي، فاستوَوا خلفَه صفوفًا فقال: « **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ،**

وَيَصُــدُّونَ عَنْ سَــبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ» [آمِينْ].

✍هذا الدعاء من الأدعية العظيمة الجامعة التي اشتملت على أصول العقيدة، ومعاني التوحيد، وكمال الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى. وهو دعاء يربي القلب على تعظيم الله، والإيمان بقضائه وقدره، والتعلق به وحده في جميع الأمور.

يَقولُ رِفاعةُ بنُ رافِعٍ رَضِيَ اللهُ عنه: لما كان يَومُ أُحُدٍ، أي: يَومُ غَزوةِ أُحُدٍ، وكان فيه مَقتَلةٌ عَظيمةٌ للمُسلمينَ ومُصيبةٌ كَبيرةٌ لَهم، وأُصيبَ فيها رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وجُرِح، ولما انتَهَتِ المعرَكةُ وانكَفأ المشرِكونَ، أي: انقلبوا ورَجَعوا إلى بُيوتِهم. قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأصحابِه: استَووا، أي: اعتَدِلوا في الصُّفوفِ، فصاروا خَلفَه صُفوفًا كما في الرِّوايةِ الأُخرى، حَتَّى أُثنيَ على رَبِّي عَزَّ وجَلَّ، أي: أحمَدَه وأشكُرَه على جَزيلِ فَضلِه ونِعَمِه، ثُمَّ دَعا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم....

الشرح:

قوله: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ): يا اللَّه لك المحامد، نخصك بها لكمالك وعظمتك.

✍بدأ بالحمد والثناء على اللَّه، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وذلك أرجا وأوقع في قبول الدعاء...

☜يبدأ الدعاء بقوله: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ»، وهذه الكلمة أصل عظيم من أصول العبودية، لأن الحمد يتضمن الثناء على الله بصفاته الكاملة وأفعاله العظيمة. فالله سبحانه محمود على كل حال، محمود في عطائه ومنعه، وفي قضائه وقدره. وقد افتتح

الله كتابه القرآن الكريم بالحمد فقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة ، لأن الحمد اعتراف بكمال الربوبية وكمال الإلهية. ولهذا كان النبي ﷺ يحمد الله في السراء والضراء، وكان يقول: «الحمد لله على كل حال».

⭕المؤمن الحق يحمد الله في السراء والضراء؛ لأنه يعلم أن كل ما يقدّره الله فيه حكمة ورحمة، حتى لو لم يفهمها الآن، وإن خفيت الحكمة، لأنه مؤمن بالحكيم.

قوله: (اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ): اللّهم لا أحد يستطيع أن يُضيِّق ما وسعت، وبسطت له، لكمال قدرتك ومشيئتك، ولا أن يُوسع إذا أردت أن تضيق عليه، فلك المشيئة والقدرة الكاملة.

✍وهذه الجملة ترسخ في القلب حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر، وأن التصرف في الكون كله بيد الله وحده، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع. وهذه قاعدة عظيمة في توحيد الربوبية، فإن الله هو المتصرف في الملك كله. قال تعالى في القرآن الكريم: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [الأنعام: 17] فمن رسخ هذا المعنى في قلبه زال عنه خوف الخلق، لأن الخلق لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيرهم. ولهذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في وصية النبي ﷺ له: « واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ لك ولو اجتمعوا على أن يَضروك لم يَضروك إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ عليك ».

قوله: (وَلاَ هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ): أي لا أحد يقدر أن يهدي من أردت إضلاله، ولو اجتمع عليه جميع الخلائق، ولا يقدر أحد أن يُضلَّ من هديت، لنفوذ مشيئتك، وقدرتك، وحكمتك.

✍وفي هذا بيان أن الهداية بيد الله وحده، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. ولذلك كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: « يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ». وقد بين الله هذه الحقيقة في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [القصص: 56] وتأمل في قصة عم النبي ﷺ أبو طالب، فقد بذل له النبي أعظم النصيحة وأعظم الشفقة، ومع ذلك لم يكتب الله له الهداية. فالهداية فضل محض من الله، يهبها لمن يشاء من عباده، ولذلك كان من أعظم الدعاء أن يسأل العبد ربه الثبات والهداية.

قوله: (وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ): من علم، أو رزق، أو مال، أو سلطان، أو جاه، أو غير ذلك، فلا أحد يقدر على المنع أو الإعطاء إلا بإذنك.

✍وهذه الجملة تؤكد كمال سلطان الله على الأرزاق والأقدار. فالرزق ليس بكثرة الأسباب فقط، بل بتقدير الله وبركته. وقد قال الله تعالى: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود :6] ولذلك كان السلف يقولون: من عرف الله اطمأن قلبه ولم يجزع من قلة الدنيا، لأن ما كتب له سيأتيه لا محالة.

قوله: (وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ):أي: أنَّه سُبحانَه يُقرِّبُ الطَّائِعَ وأهلَ الإيمانِ، ويُباعِدُ الكُفَّارَ والمنافِقينَ، ولا أحَدَ يَستَطيعُ أن يُقَرِّبَهم إذا بَعَّدَهمُ اللَّهُ.

قوله: (اللَّهُمَّ ابْسُــطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْــلِكَ، وَرِزْقِكَ): فالداعي هنا لا يطلب مجرد الرزق، بل يطلب البركة في الرزق. والبركة هي الخير الكثير الدائم، وقد يكون المال قليلاً لكنه مبارك فيكفي صـــاحبه ويغنيه، وقد يكون المال كثيراً بلا بركة فيكون ســـبباً للتعب والهم. وقد وعد الله بالبركة لمن آمن واتقى فقال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: 96]

بعد أن قدم الثناء على الله جل وعلا، والتوســل بأسمائه وصــفاته، شــرع بمطلوبه من خيري الدنيا والآخرة، اللَّهم وسِّع علينا وكثِّر من خيراتك، ورحماتك، وفضلك، ورزقك، وأدمها، فأنت مالك كل شيء، فنسأله منك لا من أحد سواك.

قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْــأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ): أســألك يا الله النعيم الدائم الذي لا يتحول، ولا يتغير، وهو نعيم الآخرة.

هذا أعظم مطلب يسـأله المؤمن، وهو نعيم الجنة. لأن نعيم الدنيا مهما عظم فهو زائل، أما نعيم الآخرة فهو دائم لا ينقطع. قال الله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة: 21] وقد أخبر النبي ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة له من النعيم ما يفوق نعيم الدنيا كلها، وهذا يدل على عظمة ما أعده الله لعباده المؤمنين.

قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْــأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ): أســألك يا الله أن تكمل علي النعيم يوم الشدة والفقر، وأن تُغنيني عن السؤال، والافتقار لسواك من الخلق.

النعيم عند الفقر في الدنيا. والنعيم والرحمة عند الحاجة العظمى يوم القيامة.

✔ أي أن الدعاء يطلب من الله الراحة والنعيم في كل وقت شدة وحاجة.

قوله: (وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ): وأسألك الأمان، والاطمئنان، يوم أن يحل الخوف والفزع.

✍ويوم العيلة هو يوم القيامة حين يفتقر الناس إلى الحسنات ويحتاجون إلى رحمة الله، ويوم الخوف هو يوم الحساب حين تشتد الأهوال. قال الله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} [عبس: 34] ففي ذلك اليوم يبحث الناس عن الأمان والنجاة، ولا ينجي العبد إلا الإيمان والعمل الصالح.

وفي رواية: (والأمن يوم الحرب):سؤال الله الأمان، وثبات الأقدام في الحرب والقتال.

قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا): فيه طلب الاستعاذة من شر ما يُعطاه، من الرزق والخير، فيؤدي به إلى ترك ما يجب عليه من الزكاة، وصلة الأرحام، وبأن يكون سبباً للطغيان والعصيان والاستكبار، قال الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى *أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}، و قد لا يوظّف ما أعطاه الله ورزقه في الطاعات والخيرات.

قوله: (وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا): استعاذ من الشر الذي منعه الله منه، لكمال علمه، وحكمته بحاله، فيؤدي إلى الحسد، وما يتولّد عن الحسد، كالسعي في هلاكه بغياً وعدواناً، ومن الحزن، والهمّ المانع من الأمور المهمّة في الدين، والدنيا، بسبب عدم القناعة والرضى بما قسم الله له.

قوله: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا): أي اجعل الإيمان محبوباً لنا في نفوسنا، مُزيناً في قلوبنا، فيتزَّين ظاهرنا بالأعمال الصالحة، بما زيّنت به باطننا، فإنه أعظم أعمال القلوب الموصلة إلى دار الخلود.

قوله: (وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ): أي اجعل قلوبنا ونفوسنا تكره وتبغض هذه المعاصي العظام من الكفر، والخروج عن الطاعة، والعمل بالمعصية.

قوله: (وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ): اجعلنا راشدين مستقيمين، في أعمالنا على طاعتك، وحسن عبادتك في الظاهر والباطن، وفي كل أحوالنا، كما أفادته الجملة الاسمية من الدوام والثبات.

هذا دعاء عظيم يدل على أن الإيمان الحقيقي ليس مجرد معرفة عقلية، بل هو محبة راسخة في القلب. وقد أخبر الله بذلك فقال: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: 7] فإذا أحب العبد الإيمان وجد لذة الطاعة، وإذا كره المعصية ابتعد عنها ولو دعته نفسه إليها.

قوله: (اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ): اللَّهمّ أمتنا على الإسلام، ففيه سؤال الله تعالى الموت بحسن الخاتمة.

كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، فمن مات عليه بُعث سالماً من العذاب.

قوله: (وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ): بأن نحيا على الإسلام، وذلك بالاستسلام لك في الظاهر والباطن.

قوله: (وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ): بأن نلحق في ركبهم، وهذا لا يكون إلا إذا صحبهم العبد في الدنيا وأحبهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحبّ).

قوله: (غَيْرَ خَزَايَا): أصل الخزي، هو الذل الذي يُستحيا من مثله لما يخاف من الفضيحة منه، والمعنى لا تذلّني بمعصيتك، ولا تُهني بترك أوامرك.

قوله: (وَلاَ مَفْتُونِينَ): أي غير واقعين في الفتنة الدينية، والبلية الأخروية، أو لا معذبين، نسأل الله الحفظ والسلامة في الدنيا والآخرة.

هذه مسألة عظيمة لأن العبرة بالخواتيم. فقد يعمل الإنسان أعمالاً كثيرة ثم يزيغ قلبه في آخر حياته، نسأل الله السلامة. ولذلك كان الأنبياء يسألون الله حسن الخاتمة، كما قال يوسف عليه السلام: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: 101]

قوله: (اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ): بتثبيتنا، وقذف الخوف والوهن في قلوبهم، أو بإمداد الملائكة، وفيه بيان من يستحق عليهم القتال، وبيان العلّة في قتالهم، وهو من يصدّ عن سبيل الله، ويكذّب الرسل.

قوله: (وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ) أي أنزل عليهم الرجس والعذاب، وإنما خصّ الرجس بالذكر مع كونه داخلاً تحت العذاب لبيان شدته وقوته.

قوله: (اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ [آمِينْ) هذا الدعاء كسابقه، فذاك للكافرين عامّة، وهذا في كفار أهل الكتاب، ثم ختم باسمين من أسمائه جلّ وعلا، وهذا من حسن الختام، ومعنى اسمه تعالى (الإله) هو المألوه، أي المستحقّ أن يؤلّه: يعبد، ويفرد بالعبادة دون أحد سواه.

واسمه (الْحَقِّ) هو الإله الحق: ضد الباطل، وكل معبود دونه باطل، فهو سبحانه متحقق في وجوده، وفي ربوبيته، وإلهيته، وأسمائه، وصفاته أزلاً وأبداً.

قوله: (آمين) أي استجب، فهو طلب الإجابة من الرب عز وجل واستنجازها، والتأمين: تأكيد لما تقدّم من الدعاء، وتكرير له بأوجز عبارة، فيُندب للداعي أن يؤمّن في نهاية دعائه — فهذا من آداب الدعاء- ويدلّ كذلك على تضرّع العبد للربّ، وذلّه، وعبوديته في الطمع في إجابة مسألته، ففيه نوع من الإلحاح.

فهذا الدعاء العظيم جمع أصول الدين كلها: توحيد الله، والإيمان بالقدر، والتوكل عليه، وسؤال البركة، وطلب الجنة، والاستعاذة من الفتنة، وطلب حسن الخاتمة. ولذلك كان من هدي النبي النبي ﷺ أن يختار من الدعاء ما كان جامعاً لخيري الدنيا والآخرة، لأن الدعاء إذا جمع معاني التوحيد والافتقار إلى الله كان أقرب للإجابة وأعظم أثراً في تزكية القلب وإصلاح النفس.

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا. اللهم ارزق قلوبنا خشوعًا، وألسنتنا ذكرًا، وأعمالنا إخلاصًا. اللهم اجعل أعمالنا كلها لك خالصة، ولسنة نبيك محمد -ﷺ- موافقه، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.